١١ ـ شاعرنا العـــالمى

ابو العتاهية

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

منزلته فى الشعر : قد يكفى أبا العتاهية عندنا توجيهه الشعر هذه الوجهة الصالحة ، وذهابه به فى جد الحياة نحو تربية الشعوب وهدايتها ، وإنارة السبيل أمامها ، وتقويم عوجها ؛ وهـذا أبو نواس وهو من أعلام الشعر فى عصره يشهد له بهذا الفضل ، ويفضله به على نفسه . حدث هرون بن سعدان قال : كنت جالساً مع أبى نواس فى بعض طرق بغداد ، وجعل الناس يمرون به وهو ممدود الرجل ، بين بنى هاشم وفتيانهم ، والقواد وأبنائهم ، ووجوه أهل بغداد ، فكل يسلم عليه فلا يقوم إلى أحد منهم ، ولا يقبض رجله إليه ، إذ أقبل شيخ راكباً على حمار مريسى ، وعليه ثوبان دبيقيان ، قميص ورداء قد تقنع ورده على أذنيه ، فوثب اليه أبو نواس ، وأمسك الشيخ عليه حماره واعتنقا ، وجعل أبو نواس يحادثه وهو قائم على رجليه ، فمكثا بذلك ملياً ، حتى رأيت أبا نواس يرفع إحدى رجليه ويضعها على الأخرى ، مستريحاً من الاعياء ، ثم انصرف الشيخ وأقبل أبو نواس ، فجلس فى مكانه ، فقال له بعض من بالحضرة : من هذا الشيخ الذى رأيتك تعظمه هذا الاعظام ، وتجله هذا الاجلال ؟ فقال : هذا اسماعيل بن القاسم أبو العتاهية . فقال له السائل : لم أجللته هذا الاجلال ؟ وساعة منك عند الناس أكثر منه . قال : ويحك لا تفعل ، فوالله ما رأيته قط إلا توهمت أنه سماوى وأنا أرضى

وقد يكفى أبا العتاهية أيضاً أنه هو الشاعر الشعبى الذى أمكنه أن يدنو بالشعر العربى إلى أفهام العامة ، فوردوا مناهله العذبة بعد أن حرموا منها زمناً طويلاً بنزول لغتهم عن لغته ، وانصراف الشعراء عنهم كأنهم عجماوات لاحظ لها من علم أو أدب ، وهذا كله مع احتفاظه للشعر بما يتطلبه منه الخاصة أيضاً ؛ فأرضى بشعره الفريقين ، ولم ينزل به عن مرتبة القول الشعر فى عصره وقبل عصره ، وقد قلنا إنه كان يقصد إلى ذلك قصداً ، ويثور به على الطريقة القديمة عامداً ، وسقنا من قصته فى ذلك مع سلم الخاسر ما يؤيده ، وهذه هى قصته معه كاملة :

قال أبو الفرج : حدثنى على بن مهدى ، قال : حدثنى أحمد ابن عيسى . قال حدثنى الجماز . قال : قال سلم الخاسر : سار إلى أبو العتاهية ، فقال : جئتك زائراً ، فقلت : مقبول منك ومشكور أنت عليه فأقم ، فقال إن هذا مما يشتد علىّ ، قلت : ولم يشتد عليك ما يسهل على أهل الأدب ؟ فقال لمرفتى يضيق صدرك ، فقلت له وأنا أضحك وأعجب من مكابرته : « رمتنى بداتها وانسلت » ، فقال : دعنى من هذا واسمع منى أبياتاً ، فقلت : هات ، فأنشدنى :

نغّص الموتُ كلَّ لذة عيش ... يا لقومى للموت ما أوحاهُ

عجباً إنه إذا مات ميتٌ ... صدَّ عنه حبيبُهُ وجفاهُ

حيثما وَجَّهَ امرؤٌ ليفوتَ الـ ... موتَ قالوتُ واقفٌ بحذاهُ

إنما الشيب لابن آدم ناعٍ ... قام فى عارضيه ثم نعاهُ

من تمنّى المُنَى فأغرق فيها ... مات من قبل أن ينال مُناهُ

ما أذلَّ المُقِلَّ فى أعين النا ... س لا قلّه وما أقماهُ

إنما تنظر العيون من النا ... س إلى من ترجوه أو تخشاهُ

ثم قال لى : كيف رأيتها ؟ فقلت له : لقد جودتها لو لم تكن ألفاظها سوقية . فقال : والله ما يرغبنى فيها إلا الذى زهدك فيها

وقد ذكر ابن رشيق القيروانى أبا العتاهية فيمن كان يذهب إلى سهولة اللفظ ، ويعنى بها مع الاجادة وملاحة القصد ، وأنه اجتمع يوماً مع أبى نواس والحسين بن الضحاك الخليع ، فقال أبو نواس : لينشد كل واحد منكم قصيدة لنفسه فى مراده من غير مدح ولا هجاء ، فأنشد أبو العتاهية :

يا إخوتى إن الهـوى قاتلى ... فسيّروا الأكفانَ من عاجل

ولا تلوموا فى اتباع الهوى ... فانى فى شُغْلٍ شـاغل

عينى على عُتْبَةَ منهلّةٌ ... بدمعها المنكب السـائل

يا من رأى قبلى قتيلاً بكى ... من شدة الوجد على القاتل

بسطت كفّىَ نحوكم سائلا ... ماذا تردُّون على السـائل

إن لم تنيلوهُ فقولوا له ... قولاً جميلا يَدَلَ النـائل

أو كنتم العام على عُسرةٍ ... منـه فمُنّوه إلى قابل

فسلماله وامتنعا من الانشاد بعده ؛ وقالا له : أطمع سهولة هذه الألفاظ ، وملاحة هذا القصد ، وحسن هذه الاشارات ، فلا تنشد شيئاً . قال ابن رشيق : وذلك فى بابه من الغزل جيد أيضاً لا يفضله غيره

ولم يكن أبو العتاهية فى ذلك يتكلف شيئاً لا تواتيه فيه سجيته ، بل كان يجرى فيه على سجية مواتية ، وشعر مطبوع لا تكلف فيه ولا تصنع ، وقد بلغ من سهولة الشعر عليه أنه كان يقول : لو شئت أن أجعل كلامى كله شعراً لفعلت ، وقيل له : كيف تقول الشعر ؟ قال : ما أردته قط إلا مثل لى ، فأقول ما أريد ، وأترك مالا أريد . وحدث عبدالله بن الحسن قال : جاءنى أبو العتاهية وأنا فى الديوان ؛ فجلس إلىّ ، فقلت : يا أبا اسحاق ، أما يصعب عليك شىء من الألفاظ فتحتاج فيه الى استعمال الغريب كما يحتاج إليه سائر من يقول الشعر ، أو الى ألفاظ مستكرهة ؟ قال : لا ، فقلت له : إنى لأحسب ذلك من كثرة ركوبك القوافى السهلة ، قال : فاعرض على ما شئت من القوافى الصعبة ، فقلت : قل أبياتاً على مثل البلاغ ، فقال من ساعته :

أىُّ عيش يكون أبلغ من عيـ ... ـش كفافٍ قوتٍ بقدر البلاغِ
صاحبُ البغى ليس يسلم منه ... وعلى نفسه بَغَى كلُّ باغى
ربَّ ذى نعمة تعرَّضَ منها ... حائلٌ بينه وبين المساغ
أبلغَ الدهرُ فى مواعظه بل ... زاد فيهنَّ لى على الابلاغ
غبنتنى الأيامُ عقلى ومالى ... وشبابى وصحتى وفراغى

وكان أبو العتاهية مع هذا إذا أراد تفخيم لفظه ومعناه لم يقصر به ذلك عن غيره ، ومضى فيه كأنه من أولئك الشعراء الجاهليين أو المخضرمين أو الاسلاميين ، وقد قال مسعود بن بشر المازنى : لقيت ابن مناذر بمكة ، فقلت له : من أشعر أهل الاسلام ؟ فقال : أترى من إذا شئت هزل ، وإذا شئت جد ؟ قلت : من ؟ قال : مثل جرير حين يقول فى النسيب :

إن الذين غدَوْا بلبك غادروا ... وشلاً بعينك ما يزال معينا
غيضْنَ من عبراتهنَّ وقلن لى ... ماذا لقيتَ من الهوى ولقينا

ثم قال حين جد :

إن الذى حَرمَ المكارمَ تغلباً ... جعل النبوةَ والخلافة فينا
مُضرٌ أبى وأبو الملوك فهل لكم ... يا آل تغلبَ من أب كأبينا
هذا ابن عمى فى دمشق خليفة ... لو شئتُ ساقكمُ الى قطينا

ومن المحدثين هذا الخبيث الذى يتناول شعره من كمه ، فقلت : من ؟ قال : أبو العتاهية ، قلت : فيماذا ؟ قال قوله :

اللهُ بينى وبين مولاتى ... أبدتْ لى الصدَّ والملالاتِ
لا تغفر الذنبَ إن أسأتُ ولا ... تقبل عذرى ولا مُواتاتى
منحتُها مهجتى وخالصتى ... فكان هجرانها مكافاتى
أقلقنى حبُّها وسيَّرنى ... أحدُوثة فى جميع جاراتى

ثم قال حين جد :

وهمَّمٍ قد قطعتُ طامسه ... تَفير على الهول والمحاماةِ
بحُرَّةٍ جسرةٍ عُذافرةٍ ... خوْصاءَ عَيْرانةٍ عَلَنْدَاة
تُبادِرُ الشمس كلما طلعتْ ... بالسير تبغى بذاك مرضاتى
يا ناق خُبِّى بنا ولا تَعِدِى ... نفسك مما تَرَيْنَ راحات
حتى تُناخِى بنا الى ملك ... تَوَّجه الله بالمهابات
عليه تاجان فوق مَفْرقه ... تاج جلال وتاج إخبات
يقول للريح كلما عصفت ... هل لكِ يا ريح فى مباراتى
مَنْ مثل من عمُّه الرسول ومن ... أخواله أكرم الخؤولات

وإذا كنت فيما سبق قد جعلت أبا العتاهية زعيم شعراء عصره ؛ فهذا ابن مناذر يقضى له أيضاً بهذا السبق ، وهذا بشار قد سئل من أشعر أهل زمانه ؟ فقال : مخنث أهل بغداد ، يعنى أبا العتاهية ، وكذلك كان يرى فيه هذا الرأى كثيرون مثل الفراء وجعفر بن يحيى وأبى نواس ، وقد وازن الحرمازى بينه وبين أبى نواس ، فقال : شهدت أبا العتاهية وأبا نواس فى مجلس ؛ فكان أبو العتاهية أسرع الرجلين جواباً عند البديهة ، وكان أبو نواس أسرعهما فى قول الشعر ، فاذا تعاطيا جميعاً السرعة فضله أبو العتاهية وإذا توقفا وتمهلا فضله أبو نواس ، وقد يرجع هذا عندى الى ما كان لأبى نواس من دراسة واسعة فى اللغة وغيرها من العلوم ، فلا يخفى أن مثل هذه الدراسة لم يتح مثلها لأبى العتاهية

ولكنه يبقى بعد هذا ما قد يفيده ظاهر بعض ما رواه صاحب الأغانى من أن أبا العتاهية لم يكن يرى فى شعره هذا الرأى ، قال : نسخت من كتاب هرون بن على ، قال حدثنى على بن مهدى ، قال : حدثنى ابن أبى الأبيض ، قال : أتيت أبا العتاهية فقلت له : إنى رجل أقول الشعر فى الزهد ، ولى فيه أشعار كثيرة ، وهو مذهب

أستحسنه لأنى أرجو ألا آثم فيه ، وسمعت شعرك فى هذا المعنى فأحببت أن أستزيد منه ، فأحب أن تنشدنى من جيد ما قلت ، فقال : اعلم أن ما قلته ردىء ، قلت : وكيف ؟ قال : لأن الشعر ينبغى أن يكون مثل أشعار الفحول المتقدمين ، أو مثل شعر بشار وابن هرمة ، فان لم يكن كذلك فالصواب لقائله أن تكون ألفاظه مما لا تخفى على جمهور الناس مثل شعرى ، ولا سيما الأشعار التى فى الزهد ، فان الزهد ليس من مذاهب الملوك ، ولا من مذاهب رواة الشعر ، ولا طلاب الغريب ، وهو مذهب أشغف الناس به ، الزهاد وأصحاب الحديث والفقهاء وأصحاب الرياء والعامة ، وأعجب الأشياء مافهموه ، فقلت : صدقت ، ثم أنشدنى قصيدته :

لِدوا للموت وابنوا للخراب ... فكلُّكمُ يصير الى تَباب
ألا يا موتُ لم أر منك بُدًّا ... أتيتَ وما تحيفُ وما تحابى
كأنك قد هجمت على مشيبى ... كما هجم المشيب على شبابى

قال : فصرت الى أبى نواس فأعلمته ما دار بيننا ، فقال : والله ما أحسب فى شعره مثل ما أنشدك بيتاً آخر ، فصرت إليه فأخبرته بقول أبى نواس ، فأنشدنى قصيدته التى يقول فيها :

طولُ التعاشرِ بين الناس محلول ... ما لابن آدمَ إن فتشتَ معقولُ
يا راعىَ الشاءِ لا تغفل رعايتها ... فأنت عن كل ما استرعيت مسئول
إنى لفى منزل ما زلتُ أعمره ... على يقين بأنى عنه منقول
وليس من موضع يأتيه ذو نفَسٍ ... إلا وللموت سيفٌ فيه مسلول
لم يُشغَل الموتُ عنا مذ أُعِدَّ لنا ... وكلُّنا عنه باللذات مشغول
ومن يمت فهو مقطوع ومجتنب ... والحىُّ ما عاش مَغشىٌّ وموصول
كلٌّ ما بدا لك قالاً كال فانيـة ... وكلُّ ذى أكل لابد مأكول

قال : ثم أنشدنى عدة قصائد ما هى بدون هذه ، فصرت الى أبى نواس فأخبرته فتغير لونه ، وقال : لم أخبرته بما قلت ؟ قد والله أجاد ، ولم يقل فيه سوءا

والذى أراه فى ذلك أن أبا العتاهية كان يريد بهذا صرف هذا الرجل عنه ، لأنه كان ممتزا بشعره معتدا به ، وقد قارع به بشاراً وغيره لدى الملوك والأمراء فحاز به قصب السبق ، ونال من صلاتهم وجوائزهم مالم ينله غيره ، ولو كان يراه دون غيره من الشعر لقعد به فى بيته ، ولم يقو أن يقارع أحدا به ؟

عبد المتعال الصعيدى

فصول ملخصة فى الفلسفة الالمانية

٢٠ – تطور الحركة الفلسفية فى ألمانيا

الناحية السلبية من مذهب نيتشه

الانسان

للأستاذ خليل هنداوى

— ١ —

كل جيل أو كل حضارة مرتبطة بسلسلة من القيم الاجتماعية تؤمن بأن هنالك شيئاً أسمى من شىء ، وأن عملا أفضل من عمل ، وترى أن الحقيقة أسمى من الضلال ، وأن عاطفة الرأفة أفضل من عاطفة القسوة ، وواجب التاريخ البشرى هو تعيين هذه المقامات والفصل بينها ، لأن هذه المقامات المنطوية على التقاليد الاجتماعية هى التى تسيطر على حياة الأفراد والجماعات ، وتؤثر فى كل أحكامنا ومناقشاتنا . وجدير بها والحالة هذه أن تشغل عقل الفيلسوف وأن تستبد بأكثر عقله وفراغه

نظر نيتشه إلى هذه المقامات وتأملها ملياً ، فجاءت نتيجة تأمله أن هذه المقامات التى تتعاقب عليها الحياة الأوروبية اليوم لهى مقامات فاسدة يجب تنكيسها لأنها لاتصلح للبقاء ، وبهذا يتبدل مجرى حياتنا ، وتبيد هذه المكاذات التى تتوكأ عليها أحكامنا وأفكارنا . وقد ترى نيتشه — فى أحد نوبات ألمه العنيف قبل ضياع عقله — ينذر بخراب مروع لهذه البشرية : « إننى أحلف لكم بأن الأرض ستتلوى متشنجة خلال طامين اثنين . . . إننى بنفسى قضاء وقدر »

إن الانسان الحالى يضع فى قائمة « القيم الاجتماعية » عدداً من القيم المطلقة العالية التى لا يمسها سوء ولا يشرف عليها عقل ، ولا يتطاول إليها نقاش ، وبواسطة هذه القيم يسعى الى تبيين الحقيقة . من هذه القيم للمروفة مثلاً عنصرا الخير والحقيقة . وقديماً وحديثاً نرى أن تمجيد الحقيقة والصدق هو رأس عقائدنا وإيماننا . ناهيك أن المفكرين أنفسهم وقفوا متهيبين إزاء مسألة الخير والشر حين عرضت لهم ، وقد ظلوا مترددين أمامها ، راعين للتقاليد التى توارثوها عنها . « فكانت » قد افترض وجودها .